البعثة النبوية الشريفة
والدين الإسلامي

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام

الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته H بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل:

Π لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ O[1].

الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

Π فَبَشِّرْ عِبَادِ Θ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ O [2].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (1300) كتاب وكراس.

---

(1) سورة التوبة: 122.
(2) سورة الزمر: 17-18.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

البعثة المباركة

مِن أكبر نعم الله تعالى علينا بل على البشرية جمعاء، أن بعث الله فينا رسوله محمد بن عبد الله 9، ولولا هذه البعثة المباركة، لما بقي من الإنسانية شيء، ولا بقي من القيم والآداب والمُثُل شيء، وقد جاءت البعثة الشريفة في الوقت المناسب والمكان المناسب والشخص المناسب. حيث بعث الله عزوجل أفضل خلقه محمدا 9 رحمةً للناس أجمعين، وذلك في ليلة 27 من شهر رجب في مكة المكرمة بغار حراء.

قال عزوجل: ﴿لَقَدْ مَنّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ﴾ [1].

وعن أبي عبد الله A قال: إن بعض قريش قال لرسول الله 9: بأي شيء سبقت الأنبياء وفُضّلت عليهم

(1) سورة آل عمران: 164.

وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟

قال: إني كنت أولّ من أقرّ بربي جل جلاله، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى، فكنتُ أول نبي قال بلى، فسبقتهم إلى الإقرار بالله عزوجلP[1].

أفضلية الرسول الأعظم 9

في البحار عن الاختصاص: عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله A قال: قال لي: Σيا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبيP؟

قال: قلت: ما أدري.

قال: Σبعث الله مائة ألف نبي وأربعة وأربعين ألف نبي[2] ومثلهم أوصياء، بصدق الحديث وأداء الأمانة والزهد في الدنيا، وما بعث الله نبياً خيراً من محمد 9 ولا وصياً خيراً من وصيهP[3].

وفي وصية النبي 9 لعلي A: Σيا علي إن الله عزوجل أشرف على أهل الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة

---

(1) بحار الأنوار: ج16 ص353 ب11 ح36 عن الكافي.
(2) عدد الأنبياء حسب المشهور بين العلماء: 124000 نبي.
(3) بحار الأنوار: ج11 ص59 ب1 ح67.

على نساء العالمينP[1].

وقال رسول الله 9: Σأنا سيد من خلق الله، وأنا خير من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقربين وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف، وأنا وعليٌ أبوا هذه الأمة، من عرفنا فقد عرف الله عزوجل، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزوجل، ومن علي سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومن وُلد الحسين تسعة أئمة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي تاسعهم قائمهم ومهديهمP[2].

وعن الحسين بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله A: كان رسول الله 9 سيد ولد آدم؟ فقال: Σكان والله سيد من خلق الله وما برأ الله برية خيرا من محمد 9 P[3].

وقال أبو عبد الله A: Σأتى يهودي النبي 9 فقام بين يديه يحد النظر إليه، فقال 9: يا يهودي حاجتك؟

قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظله بالغمام؟

فقال لـه النبي 9: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه ولكني أقول: إن آدم A لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن

---

(1) من لا يحضره الفقيه: ج4 ص371 باب النوادر ضمن ح5762.
(2) كمال الدين: ج1 ص261 ب24 ح7.
(3) الكافي: ج1 ص440 باب مولد النبي 9 ... ح1.

قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها الله له..

وإن نوحا A لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق، فنجاه الله عنه.

وإن إبراهيم A لما ألقي في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه بردا وسلاما..

وإن موسى A لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أمنتني، فقال الله جل جلاله لا تَخَفْ إنك أنت الأعلى، يا يهودي إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئا ولا نفعته النبوة..

يا يهودي ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى ابن مريم لنصرته وقدمه وصلى خلفهP[1].

المؤمنون ونصرة النبي 9

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ

(1) بحار الأنوار: ج16 ص366 ب11 ح72.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ [1].

تبين هذه الآية الشريفة وظيفة المؤمنين تجاه بعثة الرسول الأعظم ν وشخصه الكريم الذي أحل لهم الطيبات وكان سبباً لهدايتهم إلى نور الإسلام، فمن اللازم عليهم أن ينصروه ويؤازروه.

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لآ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَهُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [2].

إن الناس إذا تولوا عن الرسول ϑ وأعرضوا عنه، فإنهم قد أضروا بأنفسهم، وخسروا الدنيا والآخرة، ولم يضروا النبي ϑ شيئا.

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ﴾ أيها البشر، أو أيها المؤمنون ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من جنس نفوسكم، وهو محمد ϑ.

وهذا تحريض لإتباعه والأخذ بأمره، حيث إنه من أنفسهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: صعب عليه عنَتَكم[3]، وما يلحق بكم من الضرر والأذى..

---

(1) سورة الأعراف 157.

(2) سورة التوبة: 128 – 129.

(3) العَنَتُ: دُخُولُ المَشَقَّة على الإنسان، ولقاءُ الشدَّة؛ يقال: أَعْنَتَ فلانٌ فلاناً إعناتاً، إذا أَدْخَل عليه عَنَتاً أَي مَشَقَّةً. وقال ابن الأَثير: العَنَتُ المَشَقَّةُ، والفساد، والهلاك، والإثم، والغلط، والخطأ، والزنا: كلُّ ذلك قد جاء، ←

Π حَرِيصٌ عَلَيْكُمO أي على حفظكم وتقدمكم وسعادتكم، فلستم بهيّنين عليه حتى لا يهمّه أمركم، ويُلقي بكم في المهالك اعتباطاً، فإذا أمركم بأمر فإن فيه سعادتكم وخيركم؛ لأنه جاء من المُشفق الحريص على شؤونكم، فهو Π بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌO والرأفة شدة الرحمة، وهوΠ رَّحِيمٌO للتأكيد وتفهيم من لا يفهم معنى الرؤوف، فهو وصف توضيحي من قبيل Σسعدانة نبتP[1].

قال الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري[2]:

→

وأُطْلِقَ العَنَتُ عليه، وأَعْنَتَه أَوْقَعَه في الهَلَكة. لسان العرب: ج2 ص61 مادة Σعنتp.

(1) راجع تقريب القرآن الى الأذهان: ج11 ص487 سورة التوبة.

(2) هو الصحابي الشهير الكبير العظيم الشأن، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام بن ثعلبة الأنصاري العقبي، شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم، كنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، أما علو مرتبته في صحة العقيدة واستقامة الطريقة وخلوص الانقطاع عن الأقوام إلى أهل البيت (صلى الله عليهم) مما لا إمتراء فيه. قال الشيخ 6 في كتاب الرجال في باب الصحابة: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام نزل المدينة، شهد بدرا وثمانية عشر غزوة مع النبي 9، مات سنة ثمان وسبعين. وقال الشيخ في باب أصحاب أمير المؤمنين A: جابر بن عبد الله الأنصاري العرني الخزرجي.. وقال في أصحاب أبي محمد الحسن بن علي A: جابر بن عبد الله الأنصاري. وكذلك في أصحاب أبي عبد الله الحسين A. وقال في أصحاب سيد الساجدين أبي محمد علي بن الحسين A: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري صاحب رسول الله ←

قال رسول الله 9:

Σأنا أشبه الناس بآدم A.. وإبراهيم A أشبه الناس بي خلقة وخلقة، وسمّاني الله عزوجل من فوق عرشه عشرة أسماء، وبين الله وصفي، وبشر بي على لسان كل رسول بعثه إلى قومه، وسماني ونشر في التوراة اسمي، وبث ذكري في أهل التوراة والإنجيل وعلمني كتابه، ورفعني في سمائه، وشق لي اسماً من أسمائه: فسمّاني محمداً وهو محمود، وأخرجني في خير قرن من أمتي، وجعل اسمي في التوراة أحيد، وهو من التوحيد،

→

9. وقال في أصحاب أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين A: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام أبو عبد الله الأنصاري صحابي. وقال 6 في (مصباح المتهجد) في زيارة الأربعين وهو العشرون من صفر: في يوم العشرين منه كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي A من الشام إلى مدينة الرسول 9، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الانصاري صاحب رسول الله 9 من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله الحسين A، وكان أول من زاره من الناس، وتستحب زيارته A وهي زيارة الأربعين. كان له من الولد: عبد الرحمن ومحمد وحميد وميمونة وأم حبيب، ومات سنة ثمان وسبعين وهو ابن أربع وتسعين. وقد كان قدم إلى معاوية بدمشق فلما أذن له قال: يا معاوية، أما سمعت رسول الله 9 يقول: Σمن حجب ذا فاقة وحاجة، حجبه الله يوم فاقته وحاجتهP، فغضب معاوية وقال: وأنت قد سمعته يقول: Σإنكم ستلقون بعدي إثرة، فاصبروا حتى تردوا علي الحوضP فهلا صبرت؟ قال: ذكرتني ما نسيت، وخرج فاستوى على راحلته، ومضى فوجه إليه معاوية بستمائة دينار، فردها وقال لرسوله: قل: يا بن آكلة الأكباد، والله لا وجدت في صحيفتك سُنة أنا سببها أبداً. اختيار معرفة الرجال: ج1 ص205 اشتراك جابر بن عبد الله بين اثنين.

فبالتوحيد حرم أجساد أمتي على النار، وسمّاني في الإنجيل أحمد، فأنا محمود في أهل السماء، وجعل أمتي الحامدين، وجعل اسمي في الزبور ماح، محا الله عزوجل بي من الأرض عبادة الأوثان، وجعل اسمي في القرآن محمداً، فأنا محمود في جميع القيامة في فصل القضاء لا يشفع أحد غيري [1]، وسمّاني في القيامة حاشر، يحشر الناس على قدمي، وسمّاني الموقف، أوقف الناس بين يدي الله جل جلاله، وسماني العاقب أنا عقب النبيين ليس بعدي رسول، وجعلني رسول الرحمة، ورسول التوبة، ورسول الملاحم، والمقفّى قفيت النبيين جماعة، وأنا القيم الكامل الجامع، ومنَّ عليَّ ربي وقال: يا محمد (صلى الله عليك) قد أرسلت كل رسول إلى أمته بلسانها، وأرسلتك إلى كل أحمر وأسود من خلقي، ونصرتك بالرعب الذي لم أنصر به أحداً، وأحللت لك الغنيمة ولم تحل لأحد قبلك، وأعطيت لك ولأمتك كنزاً من كنوز عرشي، (فاتحة الكتاب) وخاتمة سورة البقرة، وجعلت لك ولأمتك الأرض كلها مسجداً، وترابها طهوراً، وأعطيت لك ولأمتك التكبير، وقرنت ذكرك بذكري حتى لا يذكرني أحد من أمتك إلا ذكرك مع ذكري، طوبى لك يا محمد ولأمتكP[2].

وهكذا بعث رسول الله محمد 9 خاتم النبيين، فلا نبي

---

(1) أي بالشفاعة الكبرى.
(2) الخصال: ج1 ص425 باب العشرة ح1.

بعده، قال تبارك وتعالى: Πمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَO [1]. أي آخرهم، فقد ختمت به النبوة، ولذا يلزم عليه أن يُبطل كل ما يخالف الصلاح العام، ويقدم برنامجا متكاملا لسعادة الإنسان إلى يوم القيامة، فإنه 9 ليس كسائر الأنبياء الذين تقدموا، فإن رسالتهم كانت مؤقتة ولكن رسالة نبي الإسلام 9 خالدة إلى يوم يبعثون.

وفعلاً قد بلّغ رسول الله 9 كل ما كان عليه أن يبلّغه، وختم الدين والإسلام وأكمله بولاية أمير المؤمنين علي A حتى نزلت الآية الكريمة: □الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً□ [2].

عن أبي جعفر الباقر A أنه قال:

Σلما حضر النبي 9 الوفاة نزل جبرئيل A فقال له جبرئيل: يا رسول الله، هل لك في الرجوع؟

قال: لا، قد بلغت رسالات ربي.

ثم قال له: يا رسول الله، أتريد الرجوع إلى الدنيا؟

قال: لا بل الرفيق الأعلى.

ثم قال رسول الله 9 للمسلمين وهم مجتمعون حوله: أيها الناس، إنه لا نبي بعدي، ولا سنة بعد سنتي، فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته في النار، ومن ادعى ذلك

---

(1) سورة الأحزاب: 40.

(2) سورة المائدة: 3.

فاقتلوه ومن اتبعه، فإنهم في النار. أيها الناس، أحيوا القصاص، وأحيوا الحق، ولا تفرقوا، وأسلموا وسلموا تسلموا، ∏كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌO[1] P[2].

وبالاضافة إلى كل تلك المقامات والصفات التي اتسم ﷺ بها في الحسابات الإلهية، فإنه يُعدّ في الحسابات الإنسانية أيضاً الشخص الأول في هذا الوجود، ويحتل موقع الصدارة، وقد شهد بذلك لسان الماضي والحاضر، وكذلك سيشهد له لسان المستقبل، ولا فرق في ذلك بين الأعداء والأصدقاء، وهذه هي نظرة غير المسلمين إليه أيضاً (صلوات الله وسلامه عليه)، إذ كتب رجل مسيحي عن ذلك فقال: إن الدنيا ولدت مائة وجه مضيء على رأس تلكم المائة نبي الإسلام محمد ﷺ.

سبب شهرة نبي الإسلام ﷺ

لقد قام رسول الله ﷺ بأهم أربعة أعمال، كانت بأعلى مستويات الإنجاز، ولعلها كانت هي السبب وراء شهرته بين الأمم واحترامهم له، فإنه ﷺ - وبغض النظر عن كونه خاتم الأنبياء % وهادي السبيل، والنبي المعصوم،

---

(1) سورة المجادلة: 21.
(2) الأمالي، للشيخ المفيد: ص53 المجلس6 ح15.

وأفضل أهل الأرض، فإنه يعد أقدس شخصية يكنّ لها العالم المسلم وغير المسلم ـ من المنصفين ـ كامل الاحترام والتبجيل، وذلك بسبب ما قدمه للعالم من عطاء باعث على الإجلال والتعظيم. أما تلك الأعمال الأربعة فهي:

أولاً: الإسلام والقرآن الكريم والعترة:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]

إن الإسلام والقرآن والعترة الطاهرة أفضل هدية قدمها رسول الله ﷺ للبشرية جمعاء.

إن الرسول الأكرم ﷺ هو النبي الوحيد الذي استطاع أن يوصل رسالته السمحاء لكل العالم..

وفضل هذه الرسالة وأهميتها قد لا يدركه الكثير من المسلمين إذ حالهم في ذلك كمثل سمكة صغيرة جاءت إلى سمكة كبيرة تسألها، أين الماء؟ في حين أنها تعيش في الماء، لكنها لم تعرف قدر الماء إلا بعدما وقعت في شبك الصياد وألقاها خارج الماء.

ونحن المسلمون كذلك؛ لأننا منذ الولادة عشنا في أحضان الإسلام الحبيب، وأحضان القرآن الكريم الذي أنزل على النبي الأعظم ﷺ وفي مدرسة أهل البيت ﷺ وسنبقى على الإسلام والإيمان إن شاء الله، حتى الرمق الأخير. لذا فإن العديد منا لايعرف قيمة هذا الدين العظيم، ولاقيمة هذا القرآن المجيد، ولاقدر هذا المذهب الحق الذي هدانا الله إليه، حق قدره وحق معرفته؛ ولذا تجد بعض المسلمين يشرق ويغرب في أفكاره ومبادئه، وربما يترك تعاليم هذا الدين القويم، ويترك معارف القرآن

---

(1) سورة سبأ: 28.

العظيم، مع أنه الأساس في بناء الحضارة الإسلامية والعالمية، والتي أنقذت العالم والإنسانية من الويلات، ودفعته إلى التقدم الهائل في جميع أبعاد الحياة المختلفة، وهذا باعتراف الكثير من غير المسلمين أيضاً.

روايات حول القرآن

وقد ورد في فضل القرآن الكريم عن الرسول الأعظم ﷺ قوله: Σإن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله وهو النور البين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعهP[1].

وقال أمير المومنين A: Σوتعلموا القرآن، فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص، وإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألومP [2].

وقال الإمام الرضا A:Σهو حبل الله المتين، وعروته الوثقى وطريقته المثلى، المؤدي إلى الجنة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغث على الألسنة، لأنه

---

(1) وسائل الشيعة: ج6 ص168 ب1 ح7648.
(2) نهج البلاغة، الخطب: 110 من خطبة له A في أركان الدين.

لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان، والحجة على كل إنسان، ∏لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍO [1]P[2].

روايات حول العترة %

قال رسول الله 9: Σأهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرقP[3].

وقال 9: Σإني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوضP[4].

سر النجاح

نعم، إن القرآن والإسلام والعترة، هي التي أوجدت في المسلمين الروح المعنوية العالية، والإيمان بالله واليوم الآخر، والخوف من النار والرغبة بالجنة، والترغيب والحث على التحلي بالأخلاق الحميدة.

وهي أول مبعث لانطلاق المسلمين، تلك الانطلاقة المذهلة التي اعترف الغرب والشرق بأنها كانت وراء النهضة العلمية في الغرب، وبأن المسلمين هم أساس

---

(1) سورة فصلت: 42.
(2) عيون أخبار الرضا A: ج2 ص130 ب35 ح9.
(3) وسائل الشيعة: ج27 ص34 ب5 ح33145.
(4) بحار الأنوار: ج23 ص135-136 ب7 ح74 عن إكمال الدين.

العلم الحديث.

ولكن ـ ومع الأسف ـ نحن المسلمين تركنا الإسلام، وتركنا القرآن وتركنا العترة الطاهرة، وسيأتي يوم نندم على ذلك ولكن الوقت قد فات ـ لا سامح الله ـ وأن كل شيء قد انتهى.

وهذه الحقيقة قد يلمسها الإنسان عندما يصل به العمر إلى آخر مرحلة من مراحل حياته في هذه الدنيا، وحينها لا يفيد الندم، على ما ضيع أيام قوته وشبابه، فعن رسول الله 9 أنه قال لابن مسعود: Σيا ابن مسعود: أكثر من الصالحات والبر، فإن المحسن والمسيء يندمان، يقول المحسن: يا ليتني ازددت من الحسنات، ويقول المسيء قصّرت، وتصديق ذلك قوله تعالى: Πوَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِO[1]P [2]. وعلى الإنسان أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله ممن لاتبطره نعمة، ولا تقصّر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحل به بعد الموت ندامة وكآبة.

حقيقة الإسلام

يقول الله تبارك وتعالى: Πوَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَO [3].

---

(1) سورة القيامة: 2.

(2) مكارم الأخلاق: ص454 ب12 ف4 في موعظة رسول الله 9 لابن مسعود.

(3) سورة آل عمران: 85.

وقال أمير المؤمنين A: Σلأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلاّ بمثل ذلك: إن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداءP [1].

وقال A: Σإن الله تعالى خصّكم بالإسلام واستخلصكم لـه؛ وذلك لأنه اسم سلامة وجماع كرامة، اصطفى الله تعالى منهجه وبيّن حججه، من ظاهر علم وباطن حكم، لا تفنى غرائبه ولاتنقضي عجائبه، فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم، لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتيحه، ولاتكشف الظلمات إلا بمصابيحه، قد أحمى حماه وأرعى مرعاه، فيه شفاء المستشفي وكفاية المكتفيP[2].

لقد دلت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على تأكيد حقيقة الإسلام وبيان كماله، فمن كلام لأمير المؤمنين A قال:

Σلا شرف أعلى من الإسلام..P[3].

وقال أمير المؤمنين A في وصف النبي 9: Σابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب

---

(1) الكافي: ج2 ص45 باب نسبة الإسلام ح1.

(2) نهج البلاغة، الخطب: 152 من خطبة لـه A.

(3) نهج البلاغة، قصار الحكم: 371.

الهادي، أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلةٌ، وثمارها متهدلةٌ، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، علا بها ذكره، وامتد منها صوته، أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوة متلافية[1]، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبيّن به الأحكام المفصولة[2]، فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته، وتنفصم عروته، وتعظم كبوته[3]، ويكن مآبه[4] إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل..P[5].

وقالت الصديقة فاطمة ∃ في خطبتها: Σأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاءه إلى الأمم، زعيم حق لـه فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدا إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية،

---

(1) متلافية: من تلافاه: تداركه بالإصلاح قبل أن يهلكه الفساد، فدعوة النبي 9 تلافت أمور الناس قبل هلاكهم.

(2) المفصولة: التي فصلها الله، أي قضى بها على عباده.

(3) الكبوة: السقطة.

(4) المآب: المرجع.

(5) نهج البلاغة، الخطب: 161 من خطبة لـه A في صفة النبي 9 وأهل بيته % وأتباع دينه، وفيها يعظ بالتقوى.

وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا للفرقة، والجهاد عزا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماةً للعدد، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابا للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ..P[1].

وقال أمير المؤمنين A في القرآن:

Σكتاب ربكم فيكم، مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسراً مجمله، ومبيناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق علمه، وموسع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه،

(1) الاحتجاج: ج1 ص97 احتجاج فاطمة الزهراء ∃ على القوم لما منعوها فدك..

وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه، موسع في أقصاهP [1].

ومن الواضح، أن الإسلام بهذه القيم والمعارف والعظمة، والتعاليم المنطقية والتي تتطابق مع فطرة البشر، يبعث على احترامه واحترام رسوله 9 وتبجيله، حتى عند غير المسلمين الذين يؤمنون بالمقاييس الإنسانية المجردة عن الاعتبارات السماوية. وهل يعرف العالم أسمى من الإسلام في الإنسانية!!

ثانياً: الأحكام العادلة:

الثاني مما أنجزه رسول الله 9: بيان الأحكام والشريعة العادلة، والملبية لجميع حاجات البشر، والتي لا تخالف فطرة الإنسان، مضافا إلى كونها مستوعة لمختلف مجالات الحياة.

قال تبارك وتعالى: Πوَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَO[2].

---

(1) نهج البلاغة، الخطب: 1 من خطبة لـه A يذكر فيها مبعث النبي 9 والقرآن والأحكام الشرعية.
(2) سورة النحل: 89.

وقال أبو عبد الله φ: Σإني لأعلم ما في السماوات، وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكونP، قال: ثم مكث هنيئة، فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: Σعلمت ذلك من كتاب الله عزوجل، إن الله عزوجل يقول: فيه تبيان كل شيءP[1].

إن النبي الأعظم ϑ جاء بدين يحتوي على كل الأحكام التي تتطلبها الحياة، من الطهارة البدنية والروحية، وإلى آخر ما يحتاجه الإنسان في مسائله الشخصية والعائلية والاجتماعية من حدود وتعزيرات، وديات، واقتصاد، وسياسة، واجتماع.. فأحكام الإسلام هي الوحيدة التي تعد كاملة ومستوعبة لكل جوانب الإنسان، وكل الأحكام الأخرى التي جاءت بها الديانة المسيحية والديانة اليهودية التي سبقته بزمن، كانت ناقصة لم تستوعب كل الحياة، فضلاً عن تحريفها وخلطها بالأباطيل، ومعلوم أن الأحكام الكاملة تشير إلى كمال صاحبها أيضاً، مما يدعو إلى تقديسه واحترامه. وهذا هو السبب الثاني للمكانة العالية لرسول الله ϑ بين جميع البشر.

---

(1) الكافي: ج1 ص261 باب أن الأئمة % يعلمون علم ما كان وما يكون.. ح2.

ثالثاً: الأمة الواحدة:

العمل الثالث الذي تفرد به رسول الله ﷺ هو أنه استطاع خلال (23سنة) فقط أن يخلق من المسلمين أمة واحدة موحدة، في الوقت الذي كانت الفرقة والتقاليد البالية والعصبيات الجاهلية هي الغالبة السائدة، مضافا إلى أن المسلمين كانوا من مختلف القبائل والقوميات فوحدهم رسول الله ﷺ تحت راية الإسلام.

الوصي A يصف البعثة

وقد وصف أمير المؤمنين A الحال قبل البعثة النبوية الشريفة، فقال A: Σ..إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول اللهﷺ لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورةً سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به ﷺ من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة، ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه، ورضي له ما عنده، وأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقام البلوى، فقبضه إليه كريماً ﷺ وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها؛ إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم

قائم...P [1].

وقال A: Σ.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع؛ إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النجر، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عصي الرحمن، ونصر الشيطان، وخذل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست سبله، وعفت شركه، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار وشر جيران، نومهم سهود وكحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرمP[2].

وقال A في خطبة أخرى: Σإن الله بعث محمداً ν نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن،

---

(1) نهج البلاغة، الخطب: 1 من خطبة لـه A يذكر فيها مبعث النبي 9 والقرآن والأحكام الشرعية.

(2) نهج البلاغة، الخطب: 2 من خطبة له A بعد انصرافه من صفين..

وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبةP.[1].

الصديقة ∃ تصف البعثة

وقالت السيدة فاطمة الزهراء η: Σأيّها الناس، اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد ϑ... Πوكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِO[2]، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلّة خاسئين،
Πتَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُO[3] من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد ν بعد اللتيا والّتي..P [4].

وقالت ∃ في بداية خطبتها: Σالحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم .. ثم جعل الثواب على طاعته ووضع العقاب على معصيته، ذيادةً لعباده من نقمته، وحياشة لهم إلى جنته، وأشهد أن أبي محمدا عبده

---

(1) نهج البلاغة، الخطب: 26 من خطبة لـه A وفيها يصف العرب قبل البعثة..
(2) سورة آل عمران: 103.
(3) سورة الأنفال: 26.
(4) بحار الأنوار: ج29 ص223 ب11 من خطبة خطبتها سيدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها احتجت بها على من غصب فدك منها.

ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور، ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمد ν ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار..P[1].

من بركات البعثة

البشرية كانت محرومة من العدالة والمساواة في الإنسانية والمساواة أمام القانون، وفي ذلك العالم المليئ بالظلم والطبقية، وفي ذلك المحيط الجاهلي أسس الرسول ϑ مبدأ العدالة والمساواة، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وبهذه الوسيلة استطاع أن يجمع حوله

(1) الاحتجاج: ج1 ص97 احتجاج فاطمة الزهراء ∃ على القوم لما منعوها فدك..

مختلف أفراد المجتمع، ويوحدهم تحت لواء واحد، وعقيدة واحدة. ومن المعلوم أن توحيد الكلمة بين أناس متفرقين متشتتين من أعظم الأعمال التي يستحق صاحبها التعظيم.

التعامل الإنساني مع الكل

ومن بركات البعثة النبوية الشريفة: الحث على التعامل الإنساني مع الكل حتى مع غير المسلمين.

ولقد كانت معاملة النبي ﷺ مع سائر الفئات غير المسلمة، من أفضل المعاملات الإنسانية، فقد كان يحترم الجميع ويعايشهم بحسن الجوار والتزاور وعيادة المرضى والمناظرة والمحاورة والعطف والمحبة والوفاء بالعهود وقضاء حوائجهم والدعاء لهم والذب عنهم...

ولم يكن ذلك مع المسلمين فقط، بل حتى مع غير المسلمين، حتى ورد عنه ﷺ: «من أخذ شيئاً من أموال أهل الذمة ظلماً فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا على نساء أهل الذمة إلا بإذن»[2].

فمن الواضح، أن هذه الأعمال جعلت تلك الفئات تتشوق إلى الدخول في الدين الحنيف الذي جاء به رسول

---

(1) الجعفريات: ص81 باب من ظلم ذميا وأخذ شيئاً من أموالهم.
(2) الجعفريات: ص82 باب الإستئذان على أهل الذمة.

الله ν وبذلك استطاع رسول الله ϑ من توسيع القاعدة الإسلامية وجمع عدد كبير من الناس حوله، ونشر الإسلام بين البشرية على أوسع نطاق وفي أقصر مدة.

وهذه بعض الشواهد، التي تعكس عظمة الرسول الأعظم ν وفضله العظيم على الإنسانية:

يهودي يحبس رسول الله ϑ!

روي عن أمير المؤمنين A: Σأن يهودياً يقال له: حويحر، كان له على رسول الله ϑ دنانير، فتقاضى النبي ϑ، فقال ϑ له: يا يهودي، ما عندي ما أعطيك!

فقال: إني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني.

فقال ϑ: إذاً أجلسُ معك، فجلس معه، فصلى رسول الله ϑ في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله ϑ يتهددونه ويتوعدونه، ففطن رسول الله ϑ فقال: ما الذي تصنعون به؟

فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟!

فقال ϑ: نهى تبارك وتعالى أن أظلم معاهداً ولا غيره. فلما ترحل النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله. أما والله ما فعلت بك الذي فعلت، إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام، وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاف في الأسواق ولا مرس بالفحش،

ولا قول الخطأ، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله تعالى، وكان اليهودي كثير المالP[1].

(1) مستدرك الوسائل: ج13 ص407 ب17 ح15741.

فبهذا السلوك العظيم والأخلاق الرفيعة استطاع الرسول الأعظم ﷺ أن يخلق أمة واحدة عظيمة، بهرت التاريخ وحيّرت العقول، حتى أن الله سبحانه وتعالى وصفهم قبل الإسلام بالجاهلية، ثم عاد فوصفهم بعد الإسلام بـ (خير الأمم) حيث يقول القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ما صافح رسول الله ﷺ رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منه[2].

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده[3].

وعن أنس بن مالك قال: إن النبي صلى الله عليه وآله أدركه أعرابي فأخذ بردائه، فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال له:

---

(1) سورة آل عمران: 110.
(2) الكافي: ج2 ص182 باب المصافحة ح15.
(3) مكارم الأخلاق: ص19 في الرفق بأمته ﷺ.

يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، وأمر له بعطاء[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ حييا لا يُسأل شيئا إلا أعطاه.

وعنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه[2].

وعن أبي ذر قال: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي ﷺ أن يجعل مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكاناً من طين وكان يجلس عليه ونجلس بجانبيه[3].

وعن أنس بن مالك قال: صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين، وشممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهته[4].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: Σأنا أديب الله وعلي A أديبي، أمرني ربي بالسخاء والبر، ونهاني عن البخل والجفاء، وما شيء أبغض إلى الله عزوجل من

---

(1) بحار الأنوار: ج16 ص230 ب9 ضمن ح35.
(2) بحار الأنوار: ج16 ص230 ب9 ضمن ح35.
(3) مكارم الأخلاق: ص16 ب1 ف2.
(4) مستدرك الوسائل: ج 8 ص438 ب83 ح9926.

البخل وسوء الخلق، وإنه ليفسد العمل كما يفسد الطين العسلP[1].

وكان أمير المؤمنين A إذا وصف رسول الله 9 قال: Σكان أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوفاهم ذمةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشرةً، ومن رآه بديهة هابه ومن خالطه فعرفه أحبه، لم أر مثله قبله ولا بعدهP[2].

وروي عن الصادق A: Σإن رسول الله ν أقبل إلى الجعرانة فقسم فيها الأموال وجعل الناس يسألونه ويعطيهم، حتى ألجئوه إلى الشجرة، فأُخذت برده وخُدشت ظهره حتى رحلوه عنها، وهم يسألونه، فقال: أيها الناس، ردوا علي بردي، والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم، ثم ما ألفيتموني جبانا ولا بخيلا، ثم خرج من الجعرانة في ذي القعدة، قال: فما رأيت تلك الشجرة إلا خضراء كأنما يرش عليها الماءP.[3]

وعن بحر السقاء قال: قال لي أبو عبد الله A: Σيا بحر، حسن الخلق يُسرP ثم قال: Σألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة؟P.

---

(1) بحار الأنوار: ج 16 ص231 ب9 ضمن ح35.
(2) بحار الأنوار: ج 16 ص231 ب9 ضمن ح35.
(3) الخرائج والجرائح: ج1 ص98 ب1 فصل من روايات الخاصة.

قلت: بلى.

قال: Σبينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة، وهي خلفه فأخذت هدبةً من ثوبه، ثم رجعت فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً، ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه؟

قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبةً من ثوبه ليستشفي بها، فلما أردت أخذها رآني، فقام فاستحييت منه أن آخذها وهو يراني، وأكره أن أستأمره في أخذها فأخذتهاP.[1]

وهكذا كان رسول الله ﷺ قمة في الأخلاق الطيبة حتى قبل بعثته الشريفة.

عن أبي الحميساء قال: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث، فواعدته مكاناً فنسيته يومي والغد، فأتيته يوم الثالث فقال ﷺ:

Σيا فتى، لقد شققت عليّ؛ أنا ها هنا منذ ثلاثة أيامP.[2]

---

(1) الكافي: ج2 ص103 باب حسن الخلق ح15.

(2) مستدرك الوسائل: ج8 ص460 ب92 ح10005.

التأسي برسول الله ﷺ

وهكذا يلزم على المسلمين، أن يتأسوا برسول الله ﷺ في حسن تعامله مع جميع الناس حتى مع الكفار، فتكون معاملتهم ومعاشرتهم في هذا العصر أيضا معاشرة مبتنية على أسس الحكمة والموعظة الحسنة، وإن كان الكفر قد فتح أفواهه من كل جانب لابتلاع الإسلام والمسلمين، وسحقهم وإبادتهم.

كما ينبغي أن تكون سياسة المسلمين اليوم، سياسة الاحتواء والجمع والاغضاء والتشجيع، حتى يعود المسلمون قوة قاهرة، تهدي الأمم للتي هي أقوم كما صنع رسول الله ﷺ.

أما إذا كانت السياسة سياسة إلغاء الآخرين، والتفرقة وعدم الإغضاء.. فهي توجب ضعف المسلمين.

العفو عن القاتل

روى الشيخ الكليني 6 في الكافي[1] عن الإمام الباقر

---

(1) الكليني: هو الشيخ الأجل قدوة الأنام، وملاذ المحدثين العظام، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، الملقب بـ (ثقة الإسلام). من أهل كُلين، كان شيخ الشيعة ببغداد وتوفي فيها. ألف الكافي الذي هو أجل الكتب الإسلامية وأعظم المصنفات الإمامية، والذي لم يعمل للإمامية مثله. قال المولى محمد أمين الاسترابادي في محكي فوائده: سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الاسلام كتاب يوازيه أو يدانيه. ولد في زمن الإمام الحادي عشر A في قرية (كلين) التي تبعد عن مدينة الري (38 كم) في أسرة مملوءة بالعشق والحب لأهل البيت %. أبوه يعقوب بن إسحاق وكان فاضلاً، تولى تربية ابنه منذ صغره ولقّنه بلسان ←

A أنه قال: Σإن رسول الله 9 أُتي باليهودية التي سمّت الشاة للنبي9.. فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟

فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه! قال A: فعفا رسول الله 9 عنهاP[1].

كما أن رسول الله 9 عفا عن وحشي[2] قاتل عمه

→

العمل والأخلاق والسلوك والآداب الإسلامية، وكان لخاله أيضاً دور في تعليمه وتربيته، حيث كان محدثاً كبيراً ومن عشاق مدرسة أهل البيت %، واستشهد خاله في طريق الحج إلى بيت الله الحرام.

وكان الشيخ 6 أوثق الناس في الحديث وأثبتهم. وله غير كتاب الكافي كتاب الرد على القرامطة، وكتاب رسائل الائمة %، وكتاب تعبير الرؤيا، وكتاب الرجال، وكتاب ما قيل في الائمة % من الشعر.

توفي الكليني عن (70 عاماً) قضى منها (20 سنة) في تدوين كتاب الكافي حيث تحمل الصعاب والغربة. ومع أنه كان يعيش في سجن الدنيا ولكنه كان يتنفس في فضاء الجنة، حيث قضى عمره بين كلام أهل البيت % متحملاً كل الصعاب في أداء هذه الفريضة.

توفي الكليني سنة (329 هـ) سنة تناثر النجوم، وصلى عليه محمد بن جعفر الحسني أبو قيراط، ودفن بباب الكوفة ببغداد. وفي تلك السنة توفي علي بن محمد السمري آخر نواب إمام الزمان A وبدأت بموته الغيبة الكبرى.

(1) الكافي: ج2 ص108 باب العفو ح9.

(2) وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل، قاتل حمزة عم النبي 9 في معركة أحد، قدم بعد ذلك على رسول الله 9 مع وفد أهل الطائف وأسلم، عفى عنه رسول الله 9 ولكن أمره أن يغيّب وجهه عنه، شارك مع عبد الله بن زيد الانصاري في قتل مسيلمة الكذاب، سكن الشام ومات فيها.

وفي إعلام الورى بأعلام الهدى: ص83 الركن الأول ب4، في ذكر مغازي رسول اللهσ بنفسه وسراياه..: وكان وحشي يقول: قال لي جبير بن مطعم ـ وكنت عبداً له ـ: إن عليا قتل عمي يوم بدر، يعني طعيمة، فإن قتلت محمداً فأنت حر، وإن قتلت عم محمد فأنت حر، وإن قتلت ابن ←

حمزة A، وعن هبّار بن الأسود[1] قاتل ابنته زينب، إلى

→

عم محمد فأنت حر، فخرجت بحربة لي مع قريش إلى أُحد أريد العتق لا أريد غيره، ولا أطمع في محمد -σ- وقلت لعلي أصيب من علي أو حمزة غرة فأزرقه، وكنت لا أخطئ في رمى الحراب تعلمته من الحبشة في أرضها، وكان حمزة يحمل حملاته ثم يرجع إلى موقفه. قال أبو عبد الله γ: Σوزرقه وحشي فوق الثدي، فسقط وشدوا عليه فقتلوه، فأخذ وحشي الكبد، فشد بها إلى هند بنت عتبة فأخذتها وطرحتها في فيها، فصارت مثل الداغصة، فلفظتهاP. قال: وكان الحليس بن علقمة نظر إلى أبي سفيان، وهو على فرس وبيده رمح يجاء به في شدق حمزة، فقال: يا معشر بني كنانة، انظروا إلى من يزعم أنه سيد قريش، ما يصنع بابن عمه الذي صار لحما، وأبو سفيان يقول: ذق عقق، فقال أبو سفيان: صدقت إنما كانت مني زلة اكتمها علي..

(1) روي عن عروة بن الزبير أن رجلا أقبل بزينب بنت رسول الله ν فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها، فدفعاها فوقعت على صخرة فأسقطت وهريقت دما، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بنى هاشم فدفعها إليهن، ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة.

وقيل: لما أرادت زينب بنت رسول الله ϑ اللحاق بأبيها، قدم لها كنانة بن الربيع ـ شقيق زوجها العاص ـ بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته، وخرج بها نهاراً يقود بعيرها وهي في هودج لها، وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء وتلاومت في ذلك، وأشفقت أن تخرج ابنة محمد ϑ من بينهم على تلك الحال، فخرجوا في طلبها سراعا حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد ونافع بن عبد القيس الفهري، فروَّعها هبار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملا، فلما رجعت طرحت ذا بطنها، وكانت من خوفها رأت دما وهي في الهودج؛ فلذلك أباح رسول الله ϑ يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود.

وروي أن هبار بن الأسود كان ممن عرض لزينب بنت رسول الله ϑ حين حملت من مكة إلى المدينة، فكان رسول الله ϑ يأمر سراياه إن ←

غير ذلك من أخبار عفوه ﷺ.

ترى أي ملك، أو رئيس يعفو عن جرائم كهذه، وهل تجد لهذه القصص في غير الأنبياء والأولياء % مثيلاً؟

نعم، إنه الدين الحنيف، وإنه الارتباط الوثيق بالخالق، وإنه العفو الذي بلغ منتهاه، وبالتالي إنه الإسلام، وإنها أخلاق نبي الإسلام (صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين)، فهو الجامع لكل الفضائل والمكرمات. وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: Πوَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍO[1].

فأي عاقل يرى هذه المعاني السامية، متجسدة في شخصية كبيرة وعظيمة، كرسول الله ﷺ ولا يقدسه ويجلّه ويطيعه؟!

رابعا: دولة الرسول ﷺ

الإنجاز الرابع الذي جعل الرسول ﷺ خالدا في التاريخ، ومعظما عند جميع البشر، دولته ﷺ المباركة.

إن الرسول الأعظم ﷺ استطاع أن يؤسس دولة

→

ظفروا به أن يقتلوه، فلم يظفروا به، حتى إذا كان يوم الفتح هرب هبار، ثم قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، ويقال: أتاه بالجعرانة حين فرغ من أمر حنين، فمثل بين يديه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله ﷺ، فقبل إسلامه وعفى عنه. راجع بحار الأنوار: ج19 ص350 ب10.

(1) سورة القلم: 4.

عالمية كبرى، خضعت لها أكثر بقاع الأرض، وقامت على أركان العدالة والفضيلة والتقوى، وهذا الأمر الذي لم يصنعه حتى أولي العزم من الأنبياء % الذين سبقوه كموسى وعيسى (على نبينا وآله وعليهما السلام).

ثم إن الإسلام لا يفرق في الانتماء إليه بين أسود وأبيض، بل قال تبارك وتعالى: Πيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ O[1].

إن رسالة الإسلام تشمل جميع الناس من كل أشكالهم وألوانهم وألسنتهم وأعراقهم، أما اليهودية مثلاً فإنهم لا يقبلون بانتماء أحد إلى دينهم. فإذا أراد إنسان أن يذهب إلى عالم اليهود (الحاخام) [2] ويتهوّد لا يقبل منه، وسيقال

---

(1) سورة الحجرات: 13.

(2) الحاخام: هو رئيس الكهنة عند اليهود، وهو مقدس في كتاب التلمود ويعتبرونه معصوماً، حتى ورد: إذا جاءك الحاخام وقال لك: إن هذه اليد اليمنى هي يدك اليسرى فصدقه، وأن أقوالهم صادرة عن الله، وأن مخالفتهم هي مخالفة الله، ومن قولهم في ذلك: يلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة، لأن أقوالهم هي قول الله الحي. وقال بعض الحاخامات لما سأل عن أقوالهم المتناقضة: إنها كلام الله مهما وجد فيها من تناقض، فمن لم يؤمن بها لا إيمان لـه، ومن قال: إنها ليست أقوال الله، فقد أخطأ في حق الله. انظر ابتلاء الأمم: ص102.
وقال بعض الحاخامات أيضاً: تتميز أرواح اليهود بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، ولهذا اختار الله الجنس العبري ليكون منه شعب الله المختار. انظر نصوص متفرقة من عقائد النصارى واليهود: ص412.

له: إن اليهودي هو الشخص الذي ينحدر عن اليهود، من أصلابهم أو من أم يهودية، لأنهم وبحسب اعتقادهم وادعائهم ∏أَبْنَاء اللهِO، كما قالوا بأن عزيرا ابن الله[1]...

وفي سورة التوبة: □وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ□ [2].

وفي سورة المائدة: ∏وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ

---

(1) جاء في كتاب الاحتجاج للطبرسي 6: عن النبي 9 أنه طالبهم بالحجة فقالوا: أحيا ـ أي عُزير ـ لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه. فقال رسول الله 9: Σفكيف صار عُزير ابن الله دون موسى؟ وهو الذي جاء لهم بالتوراة ورئي منه من المعجزات ما قد علمتم، ولئن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراة، فلقد كان موسى بالنبوة أولى وأحقP.

الاحتجاج: ج1 ص23 فصل في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال..

وقال الشيخ الطوسي في كتاب التبيان في تفسير القرآن: فإن قيل كيف أخبر الله عن اليهود بإنهم يقولون عزير ابن الله واليهود تنكر هذا؟ قلنا: إنما أخبر الله بذلك عنهم، لأن منهم من كان يذهب إليه، والدليل على ذلك إن اليهود في وقت ما أنزل الله القرآن سمعت هذه الآية فلم تنكرها.

التبيان في تفسير القرآن: ج5 ص205 سورة التوبة.

وروي عن أمير المؤمنين γ أنه قال: Σأن عزيرا خرج من أهله وامرأته حامل ولـه خمسون سنة، فأماته الله مائة سنة، ثم بعثه، فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة، وله ابن له مائة سنة، فكان ابنه أكبر منه، فذلك من آيات الله. وقيل: إنه رجع وقد أحرق بختنصر التوراة، فأملاها من ظهر قلبه. فقال رجل منهم: حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة في كرم، فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم. فأروه فأخرجها فعارضوا ذلك بما أملى، فما اختلفا في حرف. فقالوا: ما جعل الله التوراة في قلبه، إلآ وهو ابنه. فقالوا: عزير ابن الله. مجمع البيان في تفسير القرآن: ج2 ص174 سورة البقرة.

(2) سورة التوبة: 30.

أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُO[1].

أما غير أولئك فلا يحق لهم الدخول في اليهودية، فاليهود يعتقدون أن هذا الفضل مختص بهم، ولا يحظى به أي أحد غيرهم، ولا يحق لأحد أن يشاركهم فيه!!

بعكس دين الإسلام الذي يرى الناس سواسية، ويشجع على دخول كل الناس إليه، ويفسح المجال لكل البشر أن يرتبطوا بربهم في الدعاء والعبادة متى شاؤوا، وبهذا الانفتاح وهذه النظرة الشمولية ولسائر التعاليم العادلة دخل الناس في الإسلام أفواجاً، حتى قامت دولة الرسول 9 على أسس العدالة والخير والفضيلة.

قال الله تبارك وتعالى: Πوَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ Θ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌO [2].

فقوله تعالى: Πوَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُO فإن النبيν لما حذّرهم نقمة الله وعذابه، فقالوا: نحن أبناؤه، والابن الحبيب لا يخاف من نقمة الأب

(1) سورة المائدة: 18.
(2) سورة المائدة: 18- 19.

الودود ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لهؤلاء المفترين: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ الله ﴿بِذُنُوبِكُم﴾؟ حيث تعترفون بما حكى القرآن عنهم في آية أخرى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ [1]، فإن كنتم أبناءً أحباءً لم يكن معنىً للعذاب، ولعل المراد من (المستقبل): الماضي؛ أي لِمَ عذبكم سابقاً بذنوبكم، حيث جعل منكم القردة والخنازير وأشباه ذلك؟ ﴿بَلْ أَنتُم﴾ أيها اليهود والنصارى ﴿بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ تعالى إن أحسنتم جُوزيتم، وأن أسأتم جُوزيتم، كما يُجازى غيركم من الناس ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ من العاصين ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ منهم؛ لأنه لا بنوّة ولا عواطف خاصة بين الله وبينكم ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فليس شيء من نفس الله حتى لا يملكه سبحانه ـ كما تدعون أنتم من كونكم أبناءه ـ ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من سائر المخلوقات، والمراد بالسماء هنا: الكواكب وما يُرى في ناحيتها ـ كما هو المنصرف ـ حتى يتصور ما بينهما، لا جهة العلو ﴿وَإِلَيْهِ﴾ سبحانه ﴿الْمَصِيرُ﴾ المرجع والمآل، فليس هناك غيره يملك شيء أو يرجع إليه في أمر [2].

إن الدولة التي أقامها الرسول الأعظم ﷺ قد تشيّدت في وسط مجتمع كان غارقاً في عبادة الأصنام والأوثان،

---

(1) سورة البقرة: 80.
(2) راجع تقريب القرآن إلى الأذهان: ج6 ص623 سورة المائدة.

والظلم والاستبداد، وبين دولتين عظيمتين هما الامبراطورية الساسانية والامبراطورية الرومانية، بحيث حوّل ذلك المجتمع الغارق في وحل الجهل والتخلف واللاقانون، إلى مجتمع نموذجي في العلم والرشد والانضباط، فتبوء المركز الأول في قيادة العالم، دون أن يعوقه اختلاف الناس وتباعدهم في القومية والعادات والثقافات، أو أن يفل من عزمه الامكانيات المتواضعة التي كانت متوفرة بين يديه.

أو ليس من يجمع الناس المتفرقين، المحاطين بالأعداء من كل جانب تحت راية واحدة، ويكوّن منهم دولة قوية تتغلب على أعدائها يستحق التعظيم والإجلال؟!

مفتاح القوة والضعف

وهنا ربما يخطر هذا السؤال في الأذهان: لماذا آل وضع المسلمين إلى ما هم عليه الآن، من التأخر والتباعد والفرقة والبغضاء فيما بينهم؟!

الجواب: إن السبب يكمن في ضعف المسلمين وابتعادهم عن تعاليم الإسلام ودين النبي ﷺ؛ وإننا نستطيع بواسطة أفعالنا وأساليبنا ورجوعنا إلى الكتاب والعترة أن نبدّل ضعفنا إلى قوة تمكننا من النهوض في هذا العصر، لأن مفتاح القوة والضعف بأيدينا.

يقول أحد المسيحيين: لقد أصبحت المسيحية كالفاكهة البائرة في محلات البيع، ولكي يروجها البائع فقد وضعها في مكان بارز، وسلّط عليها الكثير من الأنوار، حتى

صارت براقة تجذب نظر المشتري، بعكس الإسلام الذي هو أشبه بالفاكهة الطازجة الطرية إلا أن صاحبه وضعه في محل مظلم، والناس لا يجتمعون دائماً إلا حول الفاكهة البراقة المغرية، حتى وإن كان داخلها هو خلاف ظاهرها.

وهذا ما أكدته إحدى الصحف العربية حيث ذكر فيها ووفق بعض الإحصائيات أن عدد الذين يعتنقون المسيحية ستون ألف شخص يومياً في كل أنحاء العالم[1].

---

(1) بمراجعة سريعة لبعض مواقع الانترنت المهتمة بنشاط التنصير نجد نشاطات كبيرة جداً وأرقام مهولة، فعلى سبيل المثال لا الحصر:
تحت ستار تقديم العون الغذائي والدوائي، يتم العمل الدؤوب لتنصير المسلمين في مناطق عدة من العالم، تطبيقا لمخططات تم وضعها بعناية عبر توفير الامكانيات البشرية والمالية اللازمة، ومن خلال مؤتمرات عقدت لهذا الغرض، ويأتي في مقدمتها المؤتمر الذي عقد فى ولاية كلورادو الامريكية عام (1978م) والذي وضع خطة شاملة لتنصير المسلمين خلال خمسين عاما، نظمته لجنة (تنصير لوزان) وكان نقطة الانطلاق المحورية والتاريخية قي العصر الحديث في ميدان التنصير، اجتمع هذا المؤتمر للمرة الأولى مائة وخمسون متخصصاً وفدوا من شتى أرجاء العالم، يمثلون مختلف الكنائس والهيئات والدوائر التنصيرية، ألقوا بتجاربهم وخبراتهم في مجال تنصير المسلمين على طاولات النقاش، وخرجوا بخطط هجومية لمحاولة هدم عقيدة ملايين المسلمين، وقرروا إنشاء معهد أبحاث ينسق الجهود نحو الخطط المرسومة، وحمل هذا المعهد اسم (صمويل زويمر) أشهر العاملين في مجال التنصير.
وعقد مؤتمر آخر في مدينة امستردام الهولندية نظمته الطائفة البروتستانتية في شهر آب عام (2000م) واستمر تسعة أيام، حضره عشرة آلاف مندوب من أنحاء العالم، وتكلف المؤتمر (45 مليون دولار) ←

→

تبرع بها المنصر الشهير بيلي جراهام، كما شهدت مدينة (انديانا بولس) الأمريكية مؤتمراً آخر شارك فيه (35 ألف) مندوب من أنحاء العالم، وأعلن فى هذا المؤتمر أن متوسط دخول الناس فى النصرانية من خلال الطائفة المنظمة للمؤتمر هو عشرة آلاف شخص يوميا.

ورصد مؤتمر (يونايتد ميثوديستس) الذي عقد فى مدينة كليفلاند الأمريكية (545 مليون دولار) لأنشطة طائفتهم فى السنوات الأربع القادمة، وقد أسفرت تلك الجهود عن نتائج مؤسفة، ففي دولة إندونيسيا المسلمة، تم تنصير البعض، فحتى عام (1989م) تم تنصير ثلاثة ملايين، ولم يكتف الغرب بذلك بل نجح فى فصل (تيمور الشرقية) عن إندونيسيا بعد سنوات من الجهود المنظمة من جانب المنظمات التبشيرية بالتعاون مع أعوانهم فى البلدان الغربية.

وفي اكتوبرعام (2000م) نقلت وسائل الإعلام نبأ إقامة الكنيسة الباكستانية حفلا تنصيريا كبيرا فى مدينة (لاهور) عاصمة اقليم البنجاب شارك فيه أكثر من عشرة آلاف نسمة (60%) منهم كانوا فى الأصل مسلمين وتحولوا عن دينهم!.

وهناك مشروع يطلق عليه اسم (اليسوع) تقوم بتمويله (71 منظمة) تنصيرية غربية تتولى جمع الأموال لدعم مشاريع التنصير وبناء الكنائس، التي بلغ عددها في دولة مثل بنجلاديش (170 كنيسة) خلال ثلاث سنوات، وقامت بالتعاون مع المنظمات الأخرى بمضاعفة عدد الكنائس في افريقيا خلال العقد الأخير لتصل إلى أكثر من (24 ألف) كنيسة.

وكشفت التقارير التى تصدرها المنظمات التنصيرية أن حوالى (150 ألف) مغربي يتلقون عبر البريد من مركز التنصير الخاص بالعالم العربي دروسا في المسيحية، ولدى هذا المركز منصرين يعملون وسط المليوني مسلم القادمين من دول المغرب العربي والمقيمين في فرنسا، وتملك هذه المنظمات إلى جانب ذلك برامج إذاعية وتليفزيونية دولية لنشر الإنجيل، إضافة إلى (635 موقع) تنصيري على الانترنت.

وذكر في تقرير إحصائي لعمليات التنصير العالمية يعرض مخطط التنصير حتى عام (2025م) تم رصد (87 مليار) دولار، و(10 آلاف) محطة إذاعة

←

وهذا يعكس لنا حجم التحرك المسيحي..
وقد شاهدت بعض نشاطاتهم في بلادنا الإسلامية، فعندما كنا في الكويت كان عدد المسيحيين فيها مائة نسمة

→

وتلفزيون،
و(7 ملايين) منصراً، و(250 دورية وكتاباً)، وتجاوز مجموع نسخ الإنجيل التي وزعت في أنحاء العالم (مليار) نسخة، وبلغ عدد الكتب التي تتحـدث عن المسيح A كمحور رئيسي في مكتبات العالم عشرات الآلاف..
وذكر أنه في عام (1989م) بلغ مجموع التبرعات للأغراض الكنسية (151) مليار دولار، أي: ما يعادل ميزانية خمس عشرة دولة نامية،
أما المجلات والنشرات الدورية الكنيسة التي توزع في كل أنحاء العالم فيبلغ عددها
(22.700) مجلة ونشرة.
وتستخدم المنظمات المسيحية حالياً في تخطيط برامجها أحدث التقنيات ابتداءً من الحاسوب وانتهاء بمحطات الارسال الحديثة والأقمار الصناعية، حيث إنها تستغل حوالي (45 مليون) جهاز حاسوب في تخطيط برامجها.
ودخل أفريقيا وحدها (112 ألف) منصّر حتى عام (1990م) ويشرف هؤلاء المنصّرون على (5 ملايين) طالب وطالبة، بالاضافة إلى إشرافهم على (500) مدرسة لاهوتية. كما أن في أفريقيا ما يزيد على (20) ألف معهد كنيسي. وفيها أيضاً (50) إذاعة تنصيرية تبث برامجها بمختلف اللغات واللهجات.
كما أن هناك (8 آلاف) نسمة في إقليم السند بالهند تنصّروا في يوم واحد. وفي بنغلادش توجد (1500) منظمة تنصيرية، أما في ليبيريا فهناك (500) منظمة تنصيرية. وهناك (30) جمعية صليبية تتظاهر بمساعدة الأفغان!!
أما الشرق الأوسط، فيوجد (1300) منصّر متفرغ بالشرق الأوسط يديرون مراكز طبية وثقافية وخدمية وما أشبه. وذكر أنه يبلغ مجموع المنصّرين العاملين في أنحاء العالم حوالي (17) مليون منصّر.

فقط، إلا أنهم كانوا يملكون (26) كنيسة، في حين أن الشيعة الذين كانوا يشكلون ثلث نفوس الكويت لم يكونوا يمتلكون أكثر من (15) مسجداً!، ومن الواضح أن أولئك النفر القلائل كانوا يستخدمون هذا العدد الضخم من الكنائس قياساً إلى عددهم لأغراض التبشير والدعوة إلى المسيحية، أما مساجد المسلمين فكان بعضها مهجوراً، لا يقام فيها أي نشاط.

فالحقيقة أن نور الإسلام لم يضعف إلا أن الذين يوصلون هذا النور هم الذين ضعفوا.

سبب رقي الإسلام أيام الرسول 9

بعد فتح مكة، وخضوع أبي سفيان للأمر الواقع، وحصوله على الأمان وإعلان رسول الله 9 أنه من دخل بيت الله فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، فإن أبا سفيان والذي كان في حرب طويلة الأمد مع رسول الله 9 دامت حوالي عشرين عاماً، جاء وأعلن إسلامه في الظاهر وأدى الشهادتين.

يقول الإمام الحسن العسكري A: Σقال علي بن الحسين A: لما بعث الله محمداً 9 بمكة وأظهر بها دعوته، ونشر بها كلمته، وعاب أديانهم في عبادتهم الأصنام، وأخذوه وأساءوا معاشرته، وسعوا في خراب المساجد المبنية، كانت لقوم من خيار أصحاب محمد 9 وشيعته وشيعة علي بن أبي طالب A، كان بفناء الكعبة مساجد يحيون فيها ما أماته المبطلون، فسعى هؤلاء المشركون في خرابها، وأذى محمد 9 وسائر أصحابه،

وألجئوه إلى الخروج من مكة إلى المدينة، التفتν خلفه إليها فقال: الله يعلم أني أحبك، ولولا أن أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بلدا، ولا ابتغيت عنك بدلا، وإني لمغتم على مفارقتك. فأوحى الله تعالى إليه: يا محمد، إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول: سأردك إلى هذا البلد ظافراً غانما سالما، قادرا قاهرا، وذلك قوله تعالى: Πإِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادO [1] يعني إلى مكة ظافراً غانماً. وأخبر بذلك رسول اللهν أصحابه، فاتصل بأهل مكة فسخروا منه. فقال الله تعالى لرسولهϑ: سوف أظهرك بمكة، وأجري عليهم حكمي، وسوف أمنع عن دخولها المشركين حتى لا يدخلها منهم أحد إلا خائفا، أو دخلها مستخفيا من أنه إن عثر عليه قتل. فلما حتم قضاء الله بفتح مكة استوسقت له أمَّر عليهم عتاب بن أسيد..P [2].

فهؤلاء جاءهم النبي ϑ فاتحاً منتصراً عليهم، تُرى ما الذي كان سيفعله إنسان آخر غير النبي ϑ في موقف كهذا؟ إنه بلا شك سينتقم منهم لما ارتكبوه في حقه وحق أصحابه من جرائم وانتهاكات، فالكفار الذين أصبحوا في قبضته الشريفة كانوا هم الظالمين الذين حاربوا

(1) سورة القصص: 85.
(2) تفسير الإمام الحسن العسكري A: ص554 باب احتجاج الرسول ϑ وجداله ومناظراته ح329.

المسلمين، وعلى رأسهم أبو سفيان وهند، وأضرابهما من الرجال والنساء القتلة.

ولكن عندما حمل الراية سعد بن عبادة زعيم الأنصار[1]، وجعل يسير في طرقات مكة ويهزها منادياً:

اليوم يوم الملحمة،اليوم تسبى الحرمة. أرجعه رسول الله 9 صاحب الأخلاق الرحمانية، وسجل نقطة مشرفة في تاريخ الإسلام والإنسانية، فأمر علياً A أن يحمل الراية

---

(1) سعد بن عبادة الأنصاري: هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي الأنصاري الساعدي. يكنى أبا ثابت، وقيل: أبا قيس، وكان نقيب آل ساعدة. شهد بدراً، وكان سيداً وجواداً، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان وجيها في الأنصار ذا رياسة وسيادة يعترف قومه بها. كان يحمل إلى سول الله 9 كل يوم جفنة مملوءة لحماً وثريداً.

وكان رسول الله 9 يقول: Σاللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادةP، وكان ولده قيس بن سعد من أعظم الناس جوداً وكرماً. وكانت راية رسول الله 9 يوم فتح مكة مع سعد بن عبادة، فمر بها على أبي سفيان فقال لـه سعد: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فلما مر رسول الله 9 على أبي سفيان ناداه أبو سفيان: يا رسول الله أمرت بقتل قومك، زعم سعد أنه قاتلنا؟! فأخذ رسول الله 9 اللواء منه وأمر علياً A فأخذ اللواء. وكان سعد غيوراً فقد ذكر أن رسول الله 9 قال: Σإن سعدا لغيور، وإني لأغير من سعد، والله أغير منا، وغيرة الله أن توتى محارمهP. ولما تولى الأول والثاني الخلافة ولى سعد ولم يبايع وذهب إلى الشام، وقد قتل فيها لمعارضته للحكم القائم، فنسبوا قتله إلى الجن فقالوا: إن الجن هي التي قتلته؛ وقالوا سمعنا قائلاً يقول من بئر ولا نراه!:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة فـرميناه بسهمين فلم نخط فـــؤاده

قبره معروف في قرية من قرى الشام، في غوطة الشام.

بدلاً عن سعد بن عبادة، وأن يغير نداء الوعيد والتهديد والتشديد إلى نداء العفو والوعد بالرحمة والأمن والسلام، حيث أمره أن ينادي في أهل مكة بلين بعكس ذلك النداء، فنادى علي A في طرقات مكة: Σاليوم يوم المرحمة، اليوم تحمى الحرمةP، وفي نص آخر Σاليوم تصان الحرمةP.

ثم جمع النبي ϑ أهل مكة فنادى فيهم: Σما تقولون إني فاعل بكمؤP.

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال ϑ: Σأقول لكم كما قال أخي يوسف: Πلا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُO [1] P.

ثم قال ϑ: Σاذهبوا فأنتم الطلقاءP[2].

ثم قال: Σمن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشهد أن محمداً رسول الله، وكف يده، فهو آمن، ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن،.. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن..P [3].

---

(1) سورة يوسف: 92.
(2) شجرة طوبى: ج2 ص303 المجلس25 في فتح مكة.
(3) انظر بحار الأنوار: ج21 ص129 ب26 ضمن ح22.

وبعد ذلك حدثت واقعة حنين[1]، فقال رسول الله ϑ

(1) حُنين اسم موضع في طريق الطائف، وقيل: حنين اسم ماء بين مكة والطائف، حصلت فيه واقعة بين جيش رسول الله ϑ وبني هوزان، وهي قبيلة كبيرة من قبائل العرب، وذلك بعد فتح مكة سنة ثمان للهجرة. وكان سببها أن هوزان لما رأت فتح مكة، قالت:قد فرغ لنا محمد ϑ وأصحابه، فلنقاتله قبل أن يقاتلنا، وظلوا يحشدون الجموع لـه من جهات عديدة، وجعلوا قائدهم مالك بن عوف النضري، وكان عدد جيشه ثلاثين ألفاً، وساقوا معهم أموالهم ونساءهم كي يثبتوا على القتال، فأمر مالك بالخيل فجعلت صفوفاً، ثم جعل الأبل والبقر والغنم وراء ذلك، فلما بلغ ذلك رسول الله ϑ وعلم اجتماعهم اجمع على الخروج إليهم، فخرج بمن كان معه في فتح مكة وعددهم اثني عشر ألف مقاتل.
قال علي بن إبراهيم القمي: فمضوا حتى كان من القوم على مسيرة بعض ليلة قال: وقال مالك بن عوف لقومه: ليصير كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم، وأكمنوا في شعاب هذا الوادي، وفي الشجر، فإذا كان في غلس الصبح فاحملوا حملة رجل واحد، وهدوا القوم، فإن محمداً لم يلق أحداً يحسن الحرب. قال: فلما صلى رسول الله ϑ الغداة انحدر في وادي حنين، وهو واد لـه انحدار بعيد، وكانت بنو سليم على مقدمه، فخرجت عليها كتائب هوازن من كل ناحية، فانهزمت بنو سليم، وانهزم القوم من ورائهم، ولم يبق أحد إلا انهزم، وبقي أمير المؤمنين A يقاتلهم في نفر قليل، ومر المنهزمون برسول الله ϑ لايلوون على شيء، وكان العباس أخذ بلجام بغلة رسول الله ϑ عن يمينه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره، فأقبل رسول الله ν ينادي: Σيا معشر الأنصار، إلى أين المفر، ألا أنا رسول اللهP فلم يلو أحد عليه، وكانت نسيبة بنت كعب المازنية تحثو التراب في وجوه المنهزمين وتقول: أين تفرون عن الله وعن رسوله. ومر بها عمر فقالت لـه: ويلك ما هذا الذي صنعت؟. فقال لها: هذا أمر الله. فلما رأى رسول الله ϑ الهزيمة ركض يحوم على بغلته قد شهر سيفه، فقال: Σيا عباس، اصعد هذا الطرب وناد: يا أصحاب البقرة، ويا أصحاب الشجرة، إلى أين تفرون هذا رسول الله ϑ P. ثم رفع رسول الله ←

لأبي سفيان: إنك كنت قبل هذا قائداً لجيش الكفر، فهل أنت على استعداد لأن أعطيك منصب القيادة لبعض كتائب جيش المسلمين؟ فقبل أبو سفيان ذلك، وسار فعلاً، بكتيبة تعدادها ألف مقاتل من أهل مكة، ضمن جيش الرسول الأعظم ﷺ إلى حنين[1].

→

ﷺ يده فقال: Σاللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعانP. فنزل جبرئيل A عليه فقال لـه: Σيا رسول الله، دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله لـه البحر ونجاه من فرعونP ثم قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان بن الحارث: Σناولني كفا من حصىP فناولـه فرماه في وجوه المشركين ثم قال: Σشاهت الوجوهP ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: Σاللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد وإن شئت أن لا تعبد لا تعبدP فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون: لبيك، ومروا برسول الله ﷺ واستحيوا أن يرجعوا إليه ولحقوا بالراية. فقال رسول الله ﷺ للعباس Σمن هؤلاء يا أبا الفضل؟P فقال: يا رسول الله، هؤلاء الأنصار، فقال رسول الله ν: Σالآن حمي الوطيس، ونزل النصر من السماء، وانهزمت هوازنP فكانوا يسمعون قعقعة السلاح في الجو، وانهزموا في كل وجه، وغنم الله رسوله أموالهم ونساءهم وذراريهم، وهو قول الله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾.
تفسير القمي: ج1 ص286 سورة التوبة.

(1) ورد عن زرارة قال: سألت أبا جعفر A في قوله: Πوَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْO؟ قال: Σهم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله تبارك وتعالى، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهم في ذلك شكاك من بعد ما جاء به محمد ν فأمر الله نبيهم أن يتألفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم، ويثبتوا على دينهم الذين قد دخلوا فيه، وأقروا به، وإن رسول الله ν يوم حنين تألف رءوسهم من رءوس العرب من قريش وسائر مضر، منهم: أبو سفيان بن حرب وعيينة بن حصين الفزاري وأشباههم من الناس.. تفسير العياشي: ج2 ص91 من سورة براءة.

إن رسول الله ﷺ أراد أن يبين هذه الحقيقة، وهي أن الهدف حينما يكون هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فهو بحاجة إلى جمع الطاقات، وتوحيد الكلمة، وتوظيف قدرات كل الأفراد، على اختلاف خصوصياتهم، في سبيل ذلك الهدف، حتى ولو كان كأبي سفيان الذي حارب رسول الله ﷺ عشرين عاماً. وإن الرسول الأعظم ﷺ عندما يفعل ذلك فإنه يؤدي وظيفة إلهية، بغض النظر عن الجوانب الأخرى، من العقل والحكمة وحسن التدبير في إدارة البلاد والعباد ومعاملة الناس وحسن الأخلاق.

أما مصائر الناس، وعواقب أمورهم، ورشدهم وغيّهم، وحسابهم وكتابهم فهو على الله، وكل سيحاسب على نيته ودرجة إيمانه، ولم يكن رسول الله ﷺ مسؤولاً عن محاسبته في الدنيا، فإنما هو مذكر، وليس عليهم بمصيطر، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾. سورة الغاشية: 21-22.

التعامل بحسب الظاهر

إن مما يلزم على الحاكم أن لا يحاسب على النوايا والخفايا، فلا يصح للقائد أن يتهم القائد شعبه وأصحابه بسوء النوايا والقصد، فإنه لا يمكنه أن يدخل إلى قلوب الناس.

القائد الناجح هو الذي يوحّد شعبه، ويدفع جميع أبنائه لنصرة الحق، أما حقيقة أعمالهم ونواياهم فهي عند الله سبحانه وتعالى؟

فإن السرائر لا يعرفها سوى الله سبحانه، أو من يخبره الله بذلك.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[1].

وعلى الرغم من أن رسول الله ﷺ كان يعلم حقيقة أبي سفيان ونواياه وحقيقة غيره من المنافقين، إلا أنه ﷺ كان يتعامل مع الناس بحسب ظواهرهم لا بواطنهم، وذلك لمقتضى الحكمة الربانية، وأنه ﷺ لم يؤمر بمحاسبة بواطنهم.

لذا فإن المسلمين لو استطاعوا أن ينشروا أخلاق رسول الله ﷺ لأقبل الناس إلى دين الله أفواجاً، ولهرعوا إلى اعتناق الإسلام في مختلف بقاع الأرض ومن شتى المذاهب الأخرى.

وقد جاء في بعض الروايات: إن كثيراً من اليهود الذين كانوا في أطراف المدينة دخلوا الإسلام، بسبب ما شاهدوه من علو أخلاق رسول الله ﷺ وعظيم تعاليمه.

وإن الحقيقة التي لا ريب فيها، هي أن الإسلام سوف يأخذ طريقه ليستقر في قلوب الناس وليشمل أكبر بقعة من العالم، إذا سار المسلمون على خط رسول الله ﷺ وأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(1) سورة ق: 45.

أخلاق رسول الله 9

لقد جاءت روايات عديدة تصف أخلاق رسول الله 9 وأسلوبه في التعامل مع الناس، منها: ما ورد عن ربيب رسول الله9 ومن فتح عينيه عند الولادة في وجهه 9 ولم يفتحها في وجه أحد قبله، وهو الذي غمض النبي 9 عينيه في آخر لحظات حياته الكريمة في حجره، ولم يغمضها في حجر أحد غيره، ألا وهو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب A فهو الأعرف برسول الله 9 وهو أخوه وربيبه ووصيه، فقد روي عنه A أنه قال: Σما صافح رسول الله 9 أحداً قط فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده. وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف. وما نازعه الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت، وما رُئي مقدماً رجله بين يدي جليس له قطP[1].

وروي عن أمير المؤمنين A أنه كان إذا وصف رسول الله9 يقول: Σكان أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً،وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، لم أر قبله ولا بعده مثله 9 P [2].

---

(1) مستدرك الوسائل: ج8 ص438 ب83 ح9927.
(2) مكارم الأخلاق: ص18 ب1 ف2 في جوده 9.

وكان ﷺ يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين. فعن أبي عبد الله الصادق A قال: Σسمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده % قال: قال رسول الله ﷺ: خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلب العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان؛ لتكون سنة من بعديP[1].

فمن الضروري لأي داعية ومبلغ إلى الإسلام أن يتحلى بأقصى ما يمكن من مكارم الأخلاق، وسعة الصدر، والمعاملة العطوفة مع الناس، لكي يجلبهم إلى الإسلام، ويثبتهم على الإسلام راسخي القدم والعقيدة، فإن أفضل العوامل وأعمقها لزرع المحبة في القلوب، هي الأخلاق الفاضلة، والمعاملة الإنسانية العطوفة، فإن ذلك من أعظم مقومات مداراة الناس.

قال الإمام الصادق A: Σجاء جبرئيل A إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، ربك يقرئك السلام، ويقول لك دار خلقيP[2].

وقال ﷺ: Σأمرني ربي بمداراة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض P[3].

وقال ﷺ: Σألا أخبركم بأشبهكم بي؟P.

---

(1) الخصال: ج1 ص271 باب الخمسة ح12.
(2) الكافي: ج2 ص116 باب المداراة ح2.
(3) وسائل الشيعة: ج12 ص200 ب121 ح16081.

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: Σأحسنكم خلقاً، وألينكم كنفاً، وأبركم بقرابته، وأشدكم حباً لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً، وأشدكم من نفسه إنصافاً في الرضا والغضبP[1].

وقال أمير المؤمنين A: Σاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، واستشعروا الحمد يؤنس بكم العقلاء، ودعوا الفضول يجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس تعمر ناديكم، وحاموا عن الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا الناس من أنفسكم يوثق بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشريف وتهدم المجدP [2].

اللهم إنا نسألك المزيد من صلواتك وسلامك على مصدر الفضائل وينبوع الأخلاق، الذي ظل ماضياً على إنفاذ أمرك حتى أضاء الطريق للعالمين وهدى الله به القلوب، محمد وآله الطاهرين. اللهم اجعلنا ممن يتخلق بأخلاقه في الدنيا، واجعله اللهم شفيع ذنوبنا في الآخرة.

Σاللهم صل على محمد وآله، واجعل صلواتك وصلوات ملائكتك وأنبيائك والمرسلين وعبادك الصالحين، وأهل السماوات والأرضين، ومن سبح لك يا

---

(1) الكافي: ج2 ص240 باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح35.

(2) تحف العقول: ص215 ما روي عنه A في قصار هذه المعاني.

رب العالمين من الأولين والآخرين، على محمد عبدك ورسولك ونبيك وأمينك ونجيبك وحبيبك وصفيك وصفوتك وخاصتك وخالصتك وخيرتك من خلقك، وأعطه الفضل والفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرونP [1].

من هدي القرآن الحكيم

بعثة الرسول الأعظم 9

وقال سبحانه: Πقُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَO[2].

وقال عز وجل: Πوَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ مُبَشِّراً وَنَذِيراً Θ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاًO[3].

وقال جل وعلا: Πيَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُΘ قُمْ فَأَنْذِرْ Θ وَرَبَّكَ

---

(1) جمال الأسبوع: ص29 ف3 ذكر زيارة النبي 9 في يومه وهو يوم السبت.

(2) سورة الأعراف: 158.

(3) سورة الفرقان: 56-57.

فَكَبِّرْ O[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

البعثة النبوية ومكارم الأخلاق

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ O[3].

وقال سبحانه: [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ][4].

وقال عز وجل: [وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ][5].

وقال جل وعلا: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿

---

(1) سورة المدثر: 1-3.

(2) سورة الأنبياء: 107.

(3) سورة آل عمران: 159.

(4) سورة الأعراف: 199.

(5) سورة التوبة: 61.

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ][1].

البعثة النبوية والمسؤولية

قال تعالى: [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ][2].

وقال سبحانه: [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً Θ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً][3].

وقال عزوجل: Πطه Θ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىO[4].

بعثة الرسول ﷺ والأمة الواحدة

قال جل وعلا: [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ][5].

وقال سبحانه: [وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ

---

(1) سورة الشعراء: 214– 215.

(2) سورة التوبة: 128.

(3) سورة الكهف: 6 - 7.

(4) سورة طه: 1-2.

(5) سورة الأنبياء: 92.

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ][1].

(**1**) سورة آل عمران: 103 - 104.

من هدي السنة المطهرة

بعثة الرسول الأعظمν

قال أبو عبد الله A: Σاكتتم رسول الله ϑ بمكة مستخفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر، وعلي A معه وخديجة ∃، ثم أمره الله تعالى أن يصدع بما يؤمر فظهر وأظهر أمرهP[1].

وقال أبو عبد الله A: Σرن[2] إبليس أربع رنات: أولهن يوم لعن، وحين أهبط إلى الأرض، وحين بـُعث محمد ϑ على حين فترة من الرسل، وحين أنزلت أم الكتاب، ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، وحين أهبط من الجنةP[3].

وقال أبو الحسن الأول A: Σبعث الله عز وجل محمداً ϑ رحمة للعالمين في سبع وعشرين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صبام ستين شهراً.. P[4].

وقال أمير المؤمنين A: Σإن الله بعث محمداً ϑ

---

(1) الغيبة للشيخ الطوسي: ص332 ف5.

(2) رن رنيناً: رفع صوته بالبكاء.

(3) الخصال: ج1 ص263 باب الأربعة ح141.

(4) الكافي: ج4 ص149 باب صيام الترغيب ح2.

وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدّعي نبوة، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم[1]، وبلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهمP[2].

بعثة الرسول ϑ ومكارم الأخلاق

قال أبو عبد الله A: Σإن رسول اللهν وعد رجلاً إلى صخرة فقال: أنا لك ها هنا حتى تأتي، قال: فاشتدت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله، لو أنك تحولت إلى الظل، قال: قد وعدته إلى ها هنا، وإن لم يجئ كان منه المحشرP[3].

وقال A: Σكان رسول اللهν إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخلP[4].

وعن الامام الباقر A: Σجاء إلى رسول الله ϑ ملك فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام، وهو يقول لك: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة رضراض ذهب، قال: فرفع رأسه إلى السماء فقال: يا رب أشبع يوماً فأحمدك،

(**1**) بوأهم محلتهم: أنزلهم منزلتهم.

(**2**) نهج البلاغة، الخطب: 33. من خطبة لـه A عند خروجه لقتال أهل البصرة.

(**3**) وسائل الشيعة: ج12 ص165 ب109 ح15968.

(**4**) الكافي: ج2 ص662 باب الجلوس ح6.

وأجوع يوماً فأسألكP[1].

المسؤولية وإقامة الدين

قال رسول الله ϑ: Σلو وضعت الشمس في يميني، والقمر في شمالي، ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه.. P[2].

وعن عبد الله بن عباس قال: دخلت على أمير المؤمنين A بذي قار ـ وهو يخصف نعله[3] ـ فقال لي: Σما قيمة هذا النعل؟P فقلت: لا قيمة لها. فقال A: Σوالله، لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً ..P[4].

وقال أمير المؤمنين A: Σوالله، لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة [5] ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون

---

(1) مستدرك الوسائل: ج12 ص52 ب63 ح13491.

(2) المناقب: ج1 ص58 فصل في استظهاره A بأبي طالب.

(3) يخصف نعله: يخرزها.

(4) نهج البلاغة، الخطب: 33 من خطبة له A عند خروجه لقتال أهل البصرة.

(5) جُلب الشعيرة، بضم الجيم: قشرتها، وأصل الجُلب غطاء الرجل فتجوز في أطلاقها على غطاء الحبة.

من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى..P[1].

حقيقة الإسلام

قال رسول الله 9: Σالإسلام عريان، فلباسه الحياء وزينته الوقار، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيتP[2].

وقال أمير المؤمنين A: Σلأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العملP[3].

وقال الإمام الصادق A:

Σالإسلام يحقن به الدم، وتؤدى به الأمانة، وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمانP[4].

وقال الإمام الرضا A: Σإن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة

(**1**) نهج البلاغة، الخطب: 224 من كلام له A يتبرأ من الظلم.

(**2**) الكافي: ج2 ص46 باب نسبة الإسلام ح2.

(**3**) نهج البلاغة، قصار الحكم: 125.

(**4**) الكافي: ج2 ص24 باب أن الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة ح1.

أس الإسلام النامي وفرعه السامي.. P[1].

التأسي بالرسول ϑ

قال أمير المؤمنين A: Σأحب العباد إلى الله تعالى المتأسي بنبيه ϑ والمقتص لأثره»[2].

وقال A: Σارض بمحمد ϑ رائداً وإلى النجاة قائداًP[3].

وقال A: Σاقتدوا بهدى نبيكم ϑ فإنه أصدق الهدى، واستنوا بسنته فإنها أهدى السننP[4].

وقال A: Σإن ولي محمد ϑ من أطاع الله وأن بعدت لحمته، وإن عدو محمد ϑ من عصى الله وإن قربت قرابتهP[5].

---

(1) الكافي: ج1 ص200 باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح1.

(2) مستدرك الوسائل: ج12 ص54 ب63 ح13498.

(3) غرر الحكم ودرر الكلم: ص110 ق1 ب4 ف3 ح1951.

(4) غرر الحكم ودرر الكلم: ص110 ق1 ب4 ف3 ح1953.

(5) وسائل الشيعة: ج15 ص238 ب19 ح20376.

الفهرس

كلمة الناشر 5
البعثة المباركة 8
أفضلية الرسول الأعظم ﷺ 9
المؤمنون ونصرة النبي ﷺ 11
سبب شهرة نبي الإسلام ﷺ 17
أولاً: الإسلام والقرآن الكريم والعترة 19
روايات حول القرآن 20
روايات حول العترة % 21
سر النجاح 21
حقيقة الإسلام 22
ثانياً: الأحكام العادلة 26
ثالثاً: الأمة الواحدة 28
الوصي A يصف البعثة 28
الصديقة ∃ تصف البعثة 30
من بركات البعثة 31
التعامل الإنساني مع الكل 32
يهودي يحبس رسول الله ﷺ! 33
أخلاقيات البعثة 35

التأسي برسول الله ﷺ 39
العفو عن القاتل 39
رابعاً: دولة الرسول ﷺ 42
مفتاح القوة والضعف 47
سبب رقي الإسلام أيام الرسول ﷺ 51
التعامل بحسب الظاهر 57
أخلاق رسول الله ﷺ 59
من هدي القرآن الحكيم 62
من هدي السنة المطهرة 66
الفهرس 71